

تفسير البحر المحيط

@ 381 @ وزنها فعلي ، كما كسروا في بيض لتسلم الياء ، وإن كان وزنها فعلاً كحمر .
وقال الزمخشري : أصبت خيراً وطيباً ، ومحلها النصب أو الرفع كقولك : طيباً لك ، وطيب
لك ، وسلاماً لك ، وسلام لك ، والقراءة في قوله : وحسن مآب بالرفع والنصب بذلك على محلها
، واللام في لهم للبيان مثلها في سقيا لك . وقرء : وحسن مآب بفتح النون ، ورفع مآب .
فحسن فعل ماض أصله وحسن نقلت ضمة سينه إلى الحاء ، وهذا جائز في فعل إذا كان للمدح أو
الذم كما قالوا : حسن ذا أدباً . .

{ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَمَةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ
عَلَيْهِهِمْ السَّذْيَ أَوْ حَيْذًا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَانِ قُلْ هُوَ
رَبِّي لَا إِلَـهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ } : قال قتادة ،
وابن جريج ، ومقاتل : لما رأوا كتاب الصلح يوم الحديبية وقد كتب بسم الله الرحمن الرحيم
قال سهيل بن عمرو : ما يعرف الرحمن إلا مسيلم ، فنزلت . وقيل : سمع أبو جهل الرسول صلى
الله عليه وسلم) يقول : يا رحمن ، فقال : إن محمداً ينهانا عن عبادة آلهة وهو يدعو
إلهين فنزلت . ذكر هذا علي بن أحمد النيسابوري ، وعن ابن عباس : لما قيل لكفار قريش
اسجدوا للرحمن قالوا : وما الرحمن فنزلت . قال الزمخشري مثل ذلك الإرسال أرسلناك يعني :
أرسلناك آرسالاً له شأن وفضل على سائر الإرسالات انتهى . ولم يتقدم إرسال يشار إليه بذلك
، إلا إن كان يفهم من المعنى فيمكن ذلك . وقال الحسن : كإرسالنا الرسل أرسلناك ، فذلك
إشارة إلى إرساله الرسل . وقيل : الكاف متعلقة بالمعنى الذي في قوله : { قُلْ إِنْ
اللَّـهُ يُضِلِّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ } كما أنفذ الله هذا كذا
أرسلناك . وقال ابن عطية : والذي يظهر لي أن المعنى كما أجرينا العادة بأن الله يضل من
يشاء ويهدي بالآيات المقترحة ، فكذلك فعلنا في هذه الأمة أرسلناك إليهم بوحي ، لا بالآيات
المقترحة ، فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء انتهى . وقال الحوفي : الكاف للتشبيه في
موضع نصب أي : كفعلنا الهداية والإضلال ، والإشارة بذلك إلى ما وصف به نفسه من أنه يضل من
يشاء ويهدي من يشاء . وقال أبو البقاء : كذلك التقدير الأمر كذلك . قد خلت من قبلها أمم
أي : تقدمتها أمم كثيرة ، والمعنى : أرسلت فيهم رسل فمثل ذلك الإرسال أرسلناك . ودل هذا
المحذوف الذي يقتضيه المعنى على أن الإشارة بذلك إلى إرساله تعالى الرسل كما قال الحسن
، ولتتلوا أي : لتقرأ عليهم الكتاب المنزل عليك . وعلة الإرسال هي الإبلاغ للدين الذي أتى
به الرسول صلى الله عليه وسلم) وهم يكفرون أي : وحال هؤلاء أنهم يكفرون بالرحمن جملة

حالية أي : أرسلناك في أمة رحمة لها معنى وهم ، يكفرون بي أي : وحال هؤلاء أنهم يكفرون بالرحمن بالبليغ الرحمة . والظاهر أن الضمير في قوله : وهم ، عائد على أمة المرسل إليهم الرسول إعادة على المعنى ، إذ لو أعاد على اللفظ لكان التركيب وهي تكفر ، والمعنى : أرسلناك إليهم وهم يدينون دين الكفر ، فهدى الله بك من أراد هدايته . وقيل : يعود على الذين قالوا : { لَوْ لَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ } وقيل : يعود على أمة وعلى أمم ، والمعنى : الإخبار بأن الأمم السالفة أرسلت إليهم الرسل ، وهو الرحمة الموجبة لشكر الله على إنعامه عليهم ببعثة الرسول والإيمان به . قل : هو أي الرحمن الذي كفروا به هو ربي الواحد المتعال عن الشركاء ، عليه توكلت في نصرتي عليكم ، وجميع أموري ، وإليه مرجعي ، فيثبتني على مجاهدتكم . .

{ وَلَوْ أَنَّا قُرْآنًا سُوِّيَّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ بَلِّ لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ } : قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما : إن الكفار قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم (: سير جبلي مكة فقد ضيقا علينا ، واجعل لنا أرضاً قطعاً غراساً ، وأحي لنا آباءنا وأجدادنا ، وفلانا وفلانا ، فنزلت معلمة أنهم لا يؤمنون ولو كان ذلك كله . ولما ذكر تعالى علة إرساله ، وهي تلاوة ما أوحاه إليه ، ذكر تعظيم هذا الموحى وأنه لو كان قرآناً تسير به الجبال عن مقارها ، أو تقطع به